Middle East Journal of Humanities and Cultural Studies
Homepage: http://meijournals.com/ar/index.php/mejljs/index
ISSN: 2710-2238 (PRINT)
ISSN: 2788-4686 (ONLINE)
مجلة الشرق الأوسط
للعلوم الإنسانية والثقافية
MESR
منار الشرق للدراسات والأبحاث
Manar Elsharq for Studies & Research

تمهيدات تأصيلية حول مناهج المحدثين عند الأمامية

م.م علي سامي مجيد
جامعة الشطرة / كليه التربية للبنات
alisamimageed@gmail.com

استلام البحث:05-01-2026 مراجعة البحث :24-01-2026 قبول البحث:09-02-2026

الملخص

إنّ المذاهب الفكرية الحديثة هي التي تُنظّم شؤون المجتمعات في جميع جوانبها، وهي بلا شكّ بالغة التأثير. فهي وحدها المسؤولة عن إدارة () المجتمع العالمي، والتحكم بموارده، وتوجيه طاقاته. وقد تبيّن لنا من خلال بعض تجاربنا السابقة أننا لن نستطيع مواكبة هذا التيار الجارف ما لم نُطوّر بعض مفاهيمنا القديمة ونلتزم فقط بالأسس الجوهرية التي لا يقوم عليها ديننا. أما فيما يخصّ أساليب ووسائل التنفيذ، فلا يهمّنا إن استنبطناها وفقًا لاحتياجاتنا الأساسية الراهنة. فبهذه الطريقة فقط نكون واقعيين في رغبتنا بجعل المبادئ التي جاء بها ديننا النبيل متاحةً للجميع، وفعّالةً للغاية، وقابلةً للتطبيق.

وإن السنة النبوية هي المنبع الثاني بعد القران الكريم للعقيدة والشرع، لذلك، سعى المسلمون جاهدين إلى جمع ما نُقل عن الله من أقوال وأفعال وإقرارات ضمنية، بطريقة لم يسبق لها مثيل بين الأمم السابقة. وكانت السنة النبوية ذات أهمية بالغة للمسلمين، مما دفعهم إلى تأسيس علوم تهدف إلى فهم كتاب الله وسنة نبيه. هذا جانب من جوانب هذه العلوم.

ان مناهج المحدثين عند الأمامية لم تكن مجر نقل للروايات أو تدوين لها بل مثلت مشروعا علميا قائما على اسس دقيقه ومباني منهجيه راسخه هدفت ألى صيانة الحديث وتمييز صحيحه من سقيمه.

)وقد بين البحث أن الأمامية تعاملوا مع الحديث بوصفه ركنا أساسيا في البناء التشريعي بعد القران فاعتمدوا منهجا يجمع بين نقد والسند وتحليل السند مع العناية بعلم الرجال وقواعد الجرح والتعديل وتقسيم الاخبار الى صحيح وحسن وموثق وضعيف وفق معايير علمية مدروسة كما ظهر أن عرض الروايات على القران ومراعات القران والالتفات الى قواعد التعارض والترجيح يمثل بعدا تحليليا يعكس عمق المنهج وتكامله عن بناء علمي متكامل أسهم في حفظ الحديث وتوجيه عملية الاستنباط الفقهي والتفسير وأثر بعمق في تشكيل البنيه المعرفية للمدرسة الامامية.

الكلمات المفتاحية: مناهج، محدثين، الحديث، التدوين.

Abstract:

Modern intellectual doctrines are what organize the affairs of societies in all aspects, and they are - without a doubt - extremely powerful. They are also the only ones capable of managing global society, controlling its resources, and directing its capabilities. It has become clear to us through some of our past experiences that we cannot keep pace with this sweeping current unless we develop some of our outdated concepts and adhere - only - to the fundamental points without which our religion cannot stand. As for the methods and means of implementation, we are not concerned if we derive them according to our current essential needs. Only in this way can we be realistic in our desire to make the principles brought by our noble religion easily accessible, effective, and implementable.)

(The Prophetic Sunnah represents the second primary source of doctrine and Islamic law. Therefore, Muslims devoted great effort to collecting what was narrated from the Prophet—whether sayings, actions, or approvals—in a manner unparalleled among previous nations. The Sunnah has held immense importance for Muslims, prompting them to establish various sciences aimed at understanding the Book of Allah and the Sunnah of His Prophet.)

(The methodologies of Hadith scholars among the Imami (Shia) were not merely a process of transmitting or recording narrations; rather, they constituted a comprehensive scholarly project grounded in precise foundations and well-established methodological principles, aimed at preserving Hadith and distinguishing authentic reports from weak ones. The study demonstrates that the Imami scholars treated Hadith as a fundamental pillar in the legislative structure after the Qur'an. They adopted a methodology that combined textual criticism and chain-of-transmission analysis, with careful attention to the science of narrators ('Ilm al-Rijal), and the principles of al-Jarh wa al-Ta'dil. They also classified reports into categories such as authentic (ṣaḥīḥ), good (ḥasan), reliable (muwaththaq), and weak (ḍa'īf) according to well-defined scientific criteria. Furthermore, evaluating narrations in light of the Qur'an, considering contextual harmony, and applying rules of conflict resolution and preference

reflect a deep analytical dimension that highlights the comprehensiveness and coherence of this methodology. This integrated scholarly framework contributed significantly to the preservation of Hadith, guided the process of juristic derivation and interpretation, and profoundly influenced the intellectual structure of the Imami school.
Keywords : Methodologies, Hadith Scholars, Hadith, Compilation.

المقدمة

الحمد لله الذي تواترت نعماؤه، واستفاضت آلاؤه، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وخاتم النبيين محمّد وآله الطيبين الطاهرين، صلاة موصولة، لا مقطوعة، إلى يوم الدين .

يُعدّ علم مناهج المحدثين مجالًا معاصرًا لدراسات تكشف الدراسات الحديثة في مجال الحديث وعلومه ذات الصلة، من خلال دراسة مؤلفات القدماء، أن هذا المجال لم يقدم كعلم مستقل تحت مسمى اسمه الحالي. ويتجلى ذلك بوضوح في الدراسات المتعلقة بالنصوص الكلاسيكية، التي تُعتبر مصدراً غنياً بالمعلومات العامة في مختلف مجالات المعرفة. ومع ذلك، في مجال الحديث وعلومه ذات الصلة، تُشكّل النصوص الكلاسيكية المصدر الوحيد الذي تستند إليه الدراسات المتخصصة الحديثة.

وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على منهج التحليلي والاستقرائي لمبنيات ومقدمات مناهج المحدثين، وحاولنا في الغالب أن نأخذ مادة هذا الكتاب من تلك المصنفات مباشرة. ولا يعني هذا أننا لم نستفد من الكتابات المعاصرة، ولكن ذلك في نطاق محدود، ومقصور على بعض الأفكار واللفتات المفيدة.

ولدراسة مناهج المحدثين أهمية بالغه هي الاستفادة من المؤلفات المتنوعة في علوم الحديث، فمناهج المحدثين بمرتبة الدليل الواضح في مواضيع المعلومات الحديثية المطلوبة، سواء كانت روايات حديثية، أو التتبع التاريخي للأحداث وتأثر المناهج بالزمان والمكان.

وايضا التعرف مقدمات حول مناهج المحدثين وكيفية استعمالهم للقواعد والأسس المنهجية لكتبهم، ويؤدي هذا الى تنمية التفكير العلمي والمنهجي لدى الدارس.

فقد قسمت بحثي الى تمهيد ومبحثين يدرسان مفهوم ومقدمات وتدوين وتصنيف مناهج العلماء واتابع الأساليب والقواعد المنهجية في كتبهم، واعتمدت مصادر بحثي على المصادر الحديثية والأصول وكتب الرجال عند الفريقين.

التمهيد:

أولاً: مفهوم مناهج المحدثين :

المناهج: جمع مفردها منهج، والمنهج لغة: الطريق الواضح، وانهج الطريق اذا استبان وصار نهجا واضحا بينا ، ومنه قوله تعالى: ((لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا))[1] ونهج الامر بفتحتين، وانهج وضح يستعملان لازمين ومتعدين وطريق ناهجة: واضحة[2].

والمنهج اصطلاحا: خطوات منظمة يتخذها الباحث لمعالجة مسالة او اكثر ويتتبعها للوصول الى نتيجة او الطريق الواضح في التعبير او التعليم طبقا لمبادئ معينة بنظام معين بغية الوصول الى غاية معينة .

[1]– سورة المائدة : ٤٨

[2] – الطريحي ، مجمع البحرين: ٤/٣٧٩

المحدث :بضم الميم، وكسر الدال المشددة اسم فاعل من الفعل (حدث) اذا تكلم بما عنده من الخبر وغيره، لان معنى الحديث – في اللغة – الخبر قليله وكثير

المحدث اصطلاحا: هو من اشتغل بالحديث رواية ودراية وجمع رواته، واطلع على كثير من الرواة والروايات في عصره وتميز ذلك حتى عرف فيه خطه واشتهر فيه ضبطه[3].

لذا، فإن مفهوم مناهج المحدثين: هي الطرق التي اتبعوها في جمع الأحاديث وتدوينها ونشرها، والطرق المستخدمة في تصنيفها. وقد اختلفت مناهج علماء الحديث في تدوين الروايات؛ فمنهم من ذكر السند والمتن، ومنهم من ذكر المتن فقط، ومنهم من تميز بذكر السند، بالإضافة إلى مناهج أخرى اتبعها كل عالم حديث.[4] .

الفائدة من دراسة مناهج المحدثين هي معرفة بيئته العلمية لكل محدث في طريقة جمعه وتدوينه للحديث له وتبويبه وترتيبها وفق رؤية المحدث، وفهم اسباب كتابة المدون الحديثي او الجوامع او الاصول او الصحاح، وقد مرت المدونات الحديثية خلال العصور والقرون الماضية بمراحل عده.

ثانيا: أهمية دراسة مناهج المحدثين:

عَدَّ السيد السيستاني (دام ظله) علوم الحديث من الفنون المهمة وله شعب، فمعرفة علم الكتب من شعبه، فان مجرد انتساب كتاب الى شخص في فهرست او جامع) من الجوامع هذا غير كافٍ، إذ إن العديد من الكتب كانت موضع جدل، كالخلاف حول نسبة كتاب "روضة الكافي" وكتب أخرى مثل "فضل الشيعة" للشيخ الصدوق. لذا، لا يمكن الاعتماد على الآخرين في نسبة كتاب إلى مؤلف معين، بل يجب على الفقيه أن يكون له رأيه الخاص ورؤيته الخاصة في كل كتاب يستشهد به.

وتُعدّ معرفة هذه الكتب بالغة الأهمية لطلاب العلوم الإسلامية، نظرا للتشكيك في نسبة العديد من كتب الحديث. فهذه المعرفة تعين الباحث أو الفقيه على إزالة الغموض والالتباس [5].

المبحث الأول

أولاً: مقدمات بين النهي والأذن بتدوين الحديث:

اختلف المحدثون وغيرهم من الباحثين في علم الحديث، حول تدوين الحديث وكتابته، وعدم الاقتصار في تداوله على الذاكرة والرواية الشفهية، وأن هذه المجاميع والمصنفات، قد اثارت إشكاليات علميه بين الفريقين، والتي تمثلت مسألتان اساسيتان هما:

1 – النهي عن تدوين الحديث

2 – الاذن في تدوين الحديث

[3] – مناهج المحدثين عرض مقترن، د. علي خضير:62.

[4] – ينظر: مناهج المحدثين، د. عزت عطية: ٨٢٧ (موسوعة علوم الحديث)

[5] – السيد السيستاني، الاجتهاد والتقليد:30.

نتناول في هذا البحث هاتين المسألتين على التناوب، ونظراً لوجود اختلاف في وجهات النظر في هاتين المسألتين اللتين يمتد تاريخهما الى عصر الرسالة، ويمضي تأثيرهما الى العصور الاسلامية التالية، فينبغي استعراض الحقائق كل حسب التدوين والاتجاه:

مسالة الأولى: الاذن بتدوين الحديث:

تبنى هذا الامر مذهب الامامية، وقد اقروا ان التدوين تم في عصر الرسالة المحمديه، واخذ جماعة من الصحابة بمبدأ الأذن في تدوين الحديث الشريف ومن هؤلاء: الامام علي بن ابي طالب، وولده الامام الحسن عليهما السلام، وأنس ابن مالك وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، وجابر بن عبد الله الانصاري رضي الله عنهم، كما اخذ جماعة من التابعين بمبدأ الأذن ايضاً ومن هؤلاء: عطاء بن ابي رباح، وقتادة بن دعامة السدوسي، وسعيد بن جبير وعمر بن عبد العزيز وغيرهم)[6].

وقد اقروا هؤلاء جميعاً الى اباحة تدوين الحديث، مستندين بذلك الى ادلة علمية مستقاة من نصوص السنة المطهرة. أي في زمن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالتشكيك، ومنها ما نقله الصحابي عبد الله بن عمرو بن العاص قوله:" كنت اكتب كل شيء اسمعه من رسول الله، اريد حفظه فنهتني قريش، فقالوا أنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله، وهو بشر يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك للرسول، فقال: اكتب فو الذي نفسي بيده ما يخرج مني الا حق"[7].

وقد اشار الى هذا الحديث عدد كبير من المحدثين من امثال ابي داود والحاكم النيسابوري وابن عبد البر وغيرهم واخذ عبد ا الله بن عمرو بن العاص بعد أن اباح له الرسول الكريم هل الكتابة بتدوين الحديث، ويجمع ما كان يتلقاه من النبي حتى انه جمع صحيفة اطلق عليها فيما بعد اسم (الصحيفة الصادقة)، ولعل أحد ردود الفعل على موقف قريش من تسجيل السنة كان تحذير النبي من عواقب تركها غير مكتوبة: (لا الفين احدكم على اريكته يأتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول: لا ندري ما وجدناه في كتاب الله اتبعناه وقد روي ان السيدة عائشة قالت: إن اباها ابا بكر الحديث عن رسول الله الله وكان ما جمعه خمسمائة حديث، ثم جمع ناراً وأحرقها[8].

ويشير بعض الباحثين: أن التدوين للحديث الشريف بدأ في عهد رسول الله وبأمر منه، وكان ابو بكر وعمر (رضي الله عنهما) يخرجان كتاب رسول الله الذي كتبه الى عماله في تنظيم الزكاة ويعممانه الى جميع الاقطار[9] .

وتروي مصادر كتب الامامية على ان الكتابة امر ضروري ، ورغبوا فيها ، وحثوا الناس على مزاولتها، وقد عقد الشيخ الكليني الله بابا في كتابه عنونه (باب رواية الكتب والحديث) و (فضل الكتابة والتمسك بالكتب) ومن هذه الروايات –

١ – عن ابي عبد الله ا(عليه السلام) قال : القلب يتكل على الكتابة .

---

[6] – ابن الصلاح المقدمة ص ١٦١.

[7] – السنن، الدارمي: ١/١٢٥، مختلف تاويل الحديث، ابن قتيبة : ١٩٣.

[8] – تذكرة الحفاظ، الذهبي : ١/٥ .

[9] – رسالة في علوم الحديث واصوله، الطائي: ٢٢.

2- عن عاصم بن حميد عن أبي بصير قال: سمعت الامام الصادق (عليه السلام) يقول : "اكتبوا فإنكم لا تحفظون حتى تكتبوا "[10]

المسالة الثانية: النهي عن تدوين الحديث:

قد تجلت الحقيقة التاريخية في أبهى صورها لتؤكد أن الرسول أولى عناية فائقة بكتابة الحديث حيث وجه الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) بكتابه سنته هو كل قول او فعل أ تقرير، حذا حذوه جمعٌ من أصحابه، فقاموا بتأليف رسائل ومقالات حول أقوال النبي، وإن كانت موجزة وغير منظمة، وشكّلت هذه الرسائل حجر الزاوية لتدوين الأحاديث في القرن الثاني.

ويرى البعض أن تحريم تدوين الأحاديث كان يستند إلى الأحاديث التالية:

ما ذكره أبي سعيد الخدري في حديثة: قال: قال رسول الله: "لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن، ومن كتب شيئاً سوى القرآن فليمحه".

وبسند اخر قال: قال رسول الله : «لا تكتبوا عني شيئاً، فمن كتب عني شيئاً فليمحه».

روى الخطيب هذا الحديث في روايات متعددة، جميعها منسوبة إلى زيد بن أسلم، الذي نقله عن عطاء بن يسار، الذي نقله بدوره عن أبي سعيد الخدري. وهذا يدل على الالتباس الذي أحاط بنص الحديث بسبب اختلاف جوهره عن رواياته المتعددة. وقد اقتصر الخطيب على الروايتين اللتين أوردهما أحمد في مسنده.

لا يمكن استخدام مثل هذا الحديث كدليل ضد الأحاديث السابقة التي تشير إلى تفضيل الكتابة، بالإضافة إلى ما رواه الذهبي عن زيد بن أسلم، الذي قال: رواه حماد بن زيد، قال: قدمت المدينة وهمي تكلمون في زيد بن أسلم، فقال لي عبيد الله بن عمر: ما نعلم به بأساً إلا أنه يفسر القرآن برأيه [11].

تبنى فريق من المحدثين حديث النهي وعملوا به. روى الحاكم النيسابوري، بسنده عن عائشة قولها جمع ابي الحديث عن الرمة الله فكان خمسمائة حديث فبات يتقلب – قالت فغمني كثيراً– فقلت يه لشكوى أو لشيء بلغه، فلما اصبح قال: أي بنية هلمي الاحاديث التي عندك، فجئته بها فاحرقها وقال خشيت أن اموت وهي عندك فيكون فيها احاديث عن رجل ائتمنته ووثقت به ولم يكن كما حدثني فاكون قد تقلدت بذلك[12] .

وفي رواية اخرى أن عمر بن الخطاب ، ومن ذلك ما رواه ابن عبد البر والبيهقي عن عروة بن الزبير: إن عمر بن الخطاب اراد ان يكتب السنن فاستفتى اصحاب رسول الله له في ذلك. فأشاروا عليه أن يكتبها، فطفق عمر يستخير الله شهراً، ثم اصبح يوماً وقد عز الله له، فقال: اني كنت اريد ان اكتب السنن، وإني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكبوا عليها، وتركوا كتاب الله لا اشوب كتاب الله بشيء ابداً. وعن يحيى بن جعدة:

[10] - انظر: مناهج المحدثين عرض مقترن، د. علي خضير:24.
[11]- الحديث النبوي بين الرواية والدراية ، جعفر السبحاني: 17-18.
[12] - مذاهب الإسلاميين في علوم الحديث، حسن الحكيم:42.

(أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن، ثم بدا له أن لا يكتبها، ثم كتب في الامصار من كان عنده . فليمحه). ويكشف هذا النص بصراحة عن وجود نسخ مكتوبة في الحديث الشريف، قد يعود تاريخها الى عصر النبي [13]

ونستفيد من تلك النصوص أنّ المنع الشرعي للتدوين الحديث، هي اسطورة تاريخية عملتها يد الوضع لأعمال الخلفاء حيث قاموا بمنع ونشر الحديث النبوي الشريف من خلال ما ورد من نصوص حول معارضة بعض الصحابة لكتابة الحديث الشريف، آخذين بحديث النهي الوارد ذكره ، اذ يبدو أن فترة الحظر هذه قد امتدت الى معظم عصر الخلافة الراشدة واستمر اثرها وحتى نهاية القرن الاول الهجري، حتى مجيء عمر بن عبد العزيز للخلافة عام ٩٩هـ .

المبحث الثاني: مناهج المحدثين في التصنيف :

يمكن أن يعالج هذا المحور من خلال مستويين في أطار منهج الحديث، وفق طريقة الامامية:

أولاً عصر الرسالة المحمدية :

اولا: صحيفة الامام علي (عليه السلام) (ت40هـ)

كان الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) يكتب ما يمليه عليه الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) ، وخطه أمير المؤمنين (عليه السلام) بيده ، وكان الائمة يفتحونه

وينظرون فيه ويسمونه (الجامعة) وهي صحيفة فيها الحلال والحرام والفرائض وفيها كل شيء ، وفيها كل ما يحتاج الناس اليه وليس من قضية الا وفيها ارش الخدش والظفر ، والجلدة ونصف الجلدة[14]) وكان طول هذا الكتاب سبعون ذراعا مطويا في عرض الاديم مثل فخذ الفالج [15]..

ثانيا: الجفر: وهو اديم عكاظ او مسك شاة او جلد شاة ليست بالصغيرة ولا بالكبيرة او مسك بعير او اهاب ماعز واهاب كبش او جلد ثور مدبوغ او جلد ماعز وضان مطبق احدهما بصاحب[16] .

ثالثا: مصحف فاطمة (عليها السلام): وهو مثل القرآن ثلاث مرات املاه رسول الله (عز وجل) وخطه علي (عليه السلام) في جريدة فان فيه اشياء كثيرة من العلم ومافيه اية من القرآن؟

قد ذكر محمد بن حسن الصفار (ت290هـ) في كتابة بابا اسماه: (باب الائمة (عليهم السلام) انهم أعطوا الجفر والجامعة ومصحف فاطمة (عليها السلام).

سنذكر قسماً من هذه الروايات:

*عن ابي العلاء قال سمعت ابا عبد الله (عليه السلام) يقول عندي الجفر الابيض قال قلنا واي شئ فيه قال فقال لي زبور داود وتورية موسى وانجيل عيسى وصحف ابراهيم والحلال والحرام ومصحف فاطمة ما ازعم ان فيه قرانا وفيه

[13] – انظر: مذاهب الإسلاميين في علوم الحديث، حسن الحكيم:42.

[14] الكافي، الكليني:59/1 باب الرد على كتاب والسنةح3.

[15] – الفالج هو الجمل الضخم ذو السنامين والذراع ستة واربعون سنتمترا ونصف السنتمتر اي ان طول الصحيفة هو ٣٢,٥٥ اثنان وثلاثون مترا وخمسة وخمسون سنتمرا . حسين علي محفوظ: كتب الحديث : ٤٨.

[16] – بصائر الدرجات،حسن الصفار: 160.

ما يحتاج الناس الينا ولا نحتاج الى احد حتى ان فيه الجلدة ونصف الجلدة وثلث الجلدة وربع الجلدة وارش الخدش وعندي الجفر الاحمر وما يدريهم ما الجفر قال قلنا جعلت فداك واي شئ في الجفر الاحمر قال السلاح وذلك انها تفتح للدم يفتحها صاحب السيف للقتل فقال له عبد الله بن ابي يعفور اصلحك الله فيعرف هذا بنو الحسن قال اي والله كما يعرف الليل انه ليل والنهار انه نهار ولكن يحملهم الحسد وطلب الدنيا ولو طلبوا الحق لكان خيرا لهم[17].

* حدثنا احمد بن الحسن بن علي بن فضال عن ابيه الحسن بن علي بن فضال عن ابي بكير واحمد بن محمد عن محمد بن عبد الملك قال كنا عند ابي عبد الله (عليه السلام) نحوا من ستين رجلا وهو وسطنا فجاء عبد الخالق بن عبد ربه فقال له كنت مع ابراهيم بن محمد جالسا فذكروا انك تقول ان عندنا كتاب علي ا(عليه السلام) فقال لا والله ما ترك على كتابا وان كان ترك على كتابا ما هو الا اهابين ، ولوددت انه عند غلامي هذا فما ابالي عليه قال فجلس ابو عبد الله (عليه السلام) ثم اقبل علينا فقال ما هو والله كما يقولون انهما جفران مكتوب فيهما لا والله انهما لإهابان عليهما اصوافهما واشعارهما مد حوسين كتبنا ، في احدهما وفي الاخر سلاح رسول الله وعندنا والله صحيفة طولها سبعون ذراعا ما خلق الله من حلال وحرام الا وهو فيها حتى ان فيها ارش الخدش وقام بظفره على ذراعه فخط به وعندنا مصحف اما والله ما هو بالقران "[18].

* حدثنا احمد بن محمد عن الحسين بن سعيد الجمال عن احمد بن عمر عن أبي بصير قال دخلت على ابي عبد الله لا اله الا فقلت له انى أسئلك جعلت فداك عن مسالة ليس هيهنا احد يسمع كلامي فرفع ابو عبد الله (عليه السلام) بيني وبين بيت اخر فاطلع فيه ثم قال يا ابا محمد سل عما بدا لك قال قلت جعلت فداك ان الشيعة يتحدثون ان رسول الله و علم عليا بابا يفتح منه الف باب قال فقال ابو عبد الله يا ابا محمد علم والله رسول الله عليا الف باب يفتح له من كل باب الف باب قال: قلت له: والله هذا لعلم فنكت ساعة في الارض ثم قال : انه لعلم وما هو بذلك ثم قال يا ابا محمد وان عندنا الجامعة وما يدريهم ما الجامعة قال : قلت : جعلت فداك وما الجامعة قال صحيفة ، طولها سبعون ذراعا بذراع رسول الله و واملاء من فلق فيه وخط على بيمينه فيها كل حلال وحرام وكل شئ يحتاج الناس اليه حتى الارش في الخدش وضرب بيده الى فقال تاذن لي يا ابا محمد

قال قلت جعلت فداك انها انا لك اصنع ما شئت قال فغمزني بيده فقال حتى ارش هذا كانه مغضب قال قلت جعلت فداك هذا والله العلم قال انه لعلم وليس بذلك ثم سكت ساعة قال ان عندنا الجفر وما يدريهم ما الجفر مسك شاة او جلد بعير قال قلت جعلت فداك ما الجفر قال وعاء احمر او ادم احمر فيه علم النبيين والوصيين قلت هذا والله هو العلم قال انه لعلم وما هو بذلك ثم سكت ساعة ثم قال: وان عندنا المصحف فاطمة وما يدريهم ما مصحف فاطمة قال مصحف فيه مثل قرانكم هذا ثلث مرات والله ما فيه من قرانكم حرف واحد انها هو شئ املاها الله وأوحى اليها قال قلت هذا والله هو العلم قال انه لعلم وليس بذاك قال ثم سكت ساعة ثم قال ان عندنا لعلم ما كان وما هو كائن الى ان تقوم الساعة قال قلت جعلت فداك هذا والله هو العلم قال انه لعلم وما هو بذاك قال قلت جعلت فداك فاي شئ هو العلم قال ما يحدث بالليل

[17] – بصائر الدرجات، حسن الصفار:170.

[18] – بصائر الدرجات، حسن الصفار:171.

والنهار الامر بعد الأمر والشئ بعد لشئ الى يوم القيمة[19]. ومن الجدير بالذكر ان الجمهور نقل روايات عن صحيفة علي الا كما في صحيح البخاري"[20] .

رابعا: كتاب السنن والقضايا والاحكام : وهو كتاب كبير حوى ابواب العلم وفقه الشريعة ومنها ماقضى به الامام علي(عليه السلام) في الحوادث خاصة وقد روى الكتاب عدد من الرواة منهم عمر بن الامام امير المؤمنين روى عن ابيه هذا الكتاب كاملا وابو رافع مولى النبي (صلى الله عليه واله وسلم) وصاحب بيت المال ورواه عنه ابناه عبيد الله بن ابي رافع كاتب الامام علي (عليه السلام) و علي بن ابي رافع كاتب الامام الا وكذلك ربيعة بن سميع ومحمد بن قيس البجلي ويعلى بن مرة الثقفي والحارث بن الاعور الهمداني والاصبغ بن نباته المجاشعي وعبد الله بن عباس وميثم بن يحيى التمار وعبيد الله بن الحر الكوفي الشاعر الجعفي روى عن الامام (عليه السلام) [21].

خامسا: خطب الامام امير المؤمنين (عليه السلام) وحكمه ووصاياه: والتي جمعها الشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ) في كتاب (نهج البلاغة) .

ثانياً: عصر الائمة عليهم السلام:

اولاً: الاصول الاربعمائة

تُشار إلى عصر الأئمة (عليهم السلام) بعصر وجودهم، الذي تجلّت فيه مناهج المحدثين في نقل أحاديثهم في الأصول الأربعمائة[22]. وهذه الأصول هي أربعمائة مؤلف لأربعمائة من صحابة الإمامين الأمام الباقر (عليه السلام) (ت ١١٤ هـ) والأمام الصادق (ت ١٤٨ هـ) (عليه السلام)، وربما صحابة الأئمة الآخرين (عليهم السلام) أيضاً. وتتميز هذه الأصول الأربعمائة عن غيرها من مؤلفات الشيعة في القرون الثلاثة الأولى من الإسلام بخصائص عديدة، ولعل أهمها الإجماع على أنها روايات لأقوال الأئمة المعصومين، تحتوي على النص الكامل لأقوالهم، نُقلت مباشرة دون وسيط في النقل والكتابة.

تميزت الأصول الأربعمائة عن غيرها من مؤلفات الإمامية خلال القرون الثلاثة الأولى من الإسلام بخصائص عديدة، ولعل أهمها الإجماع على أنها تنقل أقوال الأئمة المعصومين مباشرةً، دون وسطاء، عبر سلسلة متصلة غير منقطعة.

وسنعرض فيما يلي بعض آراء العلماء حول هذه المبادئ الأربعمائة، وزمن تأليفها، وكيفية وصولها إلينا:

الراي الاول: ان فترة التصنيف والكتابة كان في عصر الامام الصادق (عليه السلام) (ت١٤٨هـ).

الراي الثاني: انها اصنفت في فترة الائمة لها من الامام امير المؤمنين (عليه السلام) الى زمان الحسن العسكري (عليه السلام)، وقد تبنى هذا الراي طائفتة من علمائنا المتقدمين والمتاخرين هذا الرأي، ولعل الشيخ المفيد قال: " ان الامامية الفوا من عهد امير المؤمنين (عليه السلام) الى زمن العسكري (عليه السلام) اربعمائة كتاب تسمى الأصول"[23].

---

[19] –بصائر الدرجات، محمد بن حسن الصفار:170. وينظر الاحاديث في هذا الباب.

[20] – صحيح البخاري:9/1.

[21]– ينظر: مناهج المحدثين عرض مقترن، د. علي خضير:68.

[22] – الاصول الاربعمائة، محمد حسين الجلالي: ٢٢.

[23] – مناهج المحدثين عرض مقترن، د. علي خضير:70.

وماذكر الشيخ اغا بزرك الطهراني(ت1389هـ) :

" لا تُحدد كتبنا الرجالية تاريخ تأليف هذه المصادر بدقة، ولا تواريخ وفاة مؤلفيها، مع أننا نعرفها بشكل عام وتقريبي. نعم، ما نعرفه يقيناً أن أياً من هذه المصادر لم يُؤلف قبل عهد أمير المؤمنين (عليه السلام)، ولا بعد عهد العسكري (عليه السلام)، إذ إن شرط اعتبارها مصادر هو تأليفها في عهد الأئمة المعصومين (عليهم السلام). وقد أُخذت الكتب الأربعة من أربعمائة مصدر من رواة الصحابة الموثوقين والبارزين للأئمة (عليهم السلام)[24]، وأفضلها وأشملها وأفضلها كتاب الكافي. قال الشيخ الصدوق في بداية كتابه "من لا يحضره الفقيه": "هذه المصادر معروفة ومشهورة وموثوقة في الحديث والفقه عموماً، وقد أخذ الشيخ الكليني والشيخ الصدوق والشيخ الطوسي أحاديث كتبهم (الكتب الأربعة) من تلك المصادر".

ثانياً: مناهج تدوين الرواة للمدونات الحديثية في عصر الائمة (عليهم السلام) صنف السيد السيستاني (دام ظله) مناهج مدونات الرواة في عصر الائمة السلام الى الاصناف الاتية

١ – مناهج من حيث العرض على الامام (عليه السلام) ، وعدمه ، فقد كانت بعض الكتب تعرض على الامام ، ولو كان الامام (عليه السلام) يصححها او يستحسنها مثل كتاب عبيد الله بن علي الحلبي ، فانه عرض شكتابه على الامام الصادق (عليه السلام) فاستحسنه وقال : " ما لهؤلاء مثل هذا في الفقه "[25]

فان الجمهور كانوا متاخرين في تدوين الحديث ، ومانُعبّر عنه اليوم بالحديث كان يعبر عنه انذاك بالفقه ، واصطلاح الحديث كان يطلق على الاحاديث المتلقاة من النبي (صلى الله عليه واله وسلم) وهناك احاديث وكتب لم تعرض على الامام ، والملاحظ ان العرض على الامام وعدم العرض يؤثر في مدى اعتبار ذلك الكتاب طبعا .

٢ – مناهج من حيث كتابتها في مجلس الرواية وعدمها ، فان قسما من الروايات كانت تكتب في حضور الامام الا هو في مجلس الرواية ، في حين ان قسما منها لم تكتب في مجلس الرواية ، وهناك شواهد من الروايات تدل على كتابتها في المجلس كما في شواهد الروايات الآتية :

وفي معتبرة سعيد بن يسار قال: سالت ابا عبد الله اللا عن البعير بالبعيرين يدا بيد ونسيئة ، فقال لا لا باس اذا سميت بالاسنان جذعين او ثنتين ، ثم امرني وخططت النسيئة[26].

وعن الشيخ الصدوق على الرواية الانفة الذكر ... وسأله سعيد بن يسار " عن البعير بالبعيرين يدا بيد ونسيئة ، فقال: نعم لا باس اذا سميت الاسنان جذعان او ثنيان ، ثم امرني فخططت على النسيئة. لان – الناس يقولون: لا، [قائلا] وانما فعل ذلك للتقية.

ومن الواضح الاختلاف في درجة الاعتبار بين ما يكتب في مجلس الحديث وبين مالا يكتب ، فان ما يكتب في مجلس الرواية بحسب الظاهر اكثر اعتبارا[27].

---

[24] – الذريعة، الشيخ أغا بزرك الطهراني: 192/2.

[25] – كتاب الرجال، النجاشي: 231.

[26] – مناهج المحدثين عرض مقترن، د. علي خضير:73.

[27] – نفسه: 74.

3 – مناهج من حيث العرض على الفقهاء الكبار وعدمه، فهناك عدة احاديث يظهر الثقات منها الراوي حينما كان يروي الحديث عن راو اخر ولو كان الراوي من الكبار – كان يعرض الحديث على شخص اخر من الكبار امثال زرارة ليتعرف على ان الراوي لم يشتبه حين نقل من المعصوم او لم يشتبه حين نقل عن الر اوي.

4 – مناهج من حيث الزيادة على كلام الامام وعدمها، فانه في بعض كتب الحديث، وبعد نقلها لكلام الامام تنقل تفريعات من كلام الراوي او استاذه او شيخ، او يذكر ادلة اخرى للفتوى مقترنة بالحديث ومنها كتاب حريز في روايتين نقلتا عنه في باب الصلاة، والظاهر ان ملحقات للروايتين وهما ليس من الرواية وانما من كلام زرارة[28]. الترديد من الراوي الكافي ج ٢ باب التواضع .

5 – مناهج من حيث التحفظ من الدس والتحريف وعدمه فبعض الكتب المشهور منها بالخصوص، والمنقول عن اصحاب الصادقين قد تحفظ عليها تلامذتهم الدس والتحريف، وبعضها لم يتحفظ عليها من ذلك، وبطبيعة الحال فليس هذان النوعان في درجة واحدة من الاعتبار وهذا ما يتكفل ببيانه الرواية الاتية :عن يونس بن عبد الرحمن، ان بعض اصحابنا ساله وكنتُ حاضرًا، فقال له: يا أبا محمد، ما أشدّ في الحديث، وما أشدّ رفضك لما يرويه أصحابنا! ما الذي يدفعك إلى رفض الأحاديث؟

قال: أخبرني هشام بن الحكم أن أبا عبد الله الي لا يقال: لا تقبلوا منا حديثًا إلا إذا وافق القرآن والسنة، أو وجدتم فيه شاهدًا من أحاديثنا السابقة. فإن المغيرة بن سعيد، لعنه الله، أدخل في كتب أصحاب أبي أحاديث لم يروها أبي. فاتقوا الله، ولا تقبلوا منا ما يخالف قول ربنا تعالى وسنة نبينا، فإنا إذا روينا قلنا: قال الله تعالى، وقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم.

وقال لي : ان ابا الخطاب كذب على ابي عبد الله (عليه السلام) لعن الله ابا الخطاب ، وكذلك اصحاب ابي الخطاب يدسون هذه الا حديث الى يومنا هذا في كتب أصحاب ابي عبد الله (عليه السلام) ، فلا تقبلوا علينا خلاف القران فانا ان تحدثنا حدثنا بموافقة القرآن وموافقة السنة ، انا الله عن وعن رسوله نحدث ، ولا نقول قال فلان وفلا فيتناقض كلامنا ، ان كلام اخرنا مثل كلام اولنا ، وكلام اولنا مصادق لكلام اخرنا ، فاذا اتاكم من يحدثكم بخلاف ذلك فردوه عليه وقولوا انت اعلم وما جئت به ، فان مع كل قول منا حقيقة وعليه نورا ، فما لا حقيقة معه ولا نور عليه فذلك من قول الشيطان"[29]

الكتب الأربعة

ان الكتب الاربعة قد اخذت من الاصول الاربعمائة لثقات اجلاء اصحاب الائمة (عليهم السلام) ، وافضلها واجمعها واشرفها كتاب الكافي ، وقد وصف الشيخ الصدوق في "من لا يحضره الفقيه " ان هذه الاصول معروفة ومشهورة ومعتبرة ومعتمدة في عامة الحديث والفقه واخذ الشيخ الكليني والشيخ الصدوق والشيخ الطوسي احاديث كتبهم) الكتب الاربعة) من تلك الاصول ، وهكذا نجد عند محدثينا الاوائل الاختلاف واضحا في منهجيتهم في اخذهم من تلك الاصول كما سياتي ذكر الكتب الأربعة كالاتي:

اولا: كتاب الكافي للشيخ محمد ابن يعقوب الكليني من 329ه

[28] – مناهج المحدثين عرض مقترن، د. علي خضير:76.

[29] –نفسه: 77.

يعد كتاب الكافي اقدم الكتب الأربعة واوسعها ماده وقد إلفه لشيخ محمد ابن يعقوب الكليني في القرن الرابع الهجرية جمع فيه الروايات الواردة عن الائمه (ع) في العقائد والاحكام والاخلاق يمثل مصدرا حديثا اساسيا عند الأمامية تنظيم الكتاب منهجي حيث قسم الى ثلاثة اقسام اصول الكافي وفروع الكافي وروضه الكافي وتميز المؤلف بإيراد الاسانيد كاهله دون الحكم ع جميع الروايات بالصحة تاركا النقد الباحثين في علمي الرجال والدراية .

ثانيا: كتاب من لا يحضره الفقيه للشيخ محمد بن علي بن بابوية القمي الصدوق 381ه جاء هذا الكتاب يعد كتاب الكافي وهو ذو طابع الفقهي علمي إذ صنف بهدف تسمير الفتوى مع حذف الكثير من الاسانيد اختصارا يمثل هذا المنهج الخطوة نحو الرابط بين التدوين الحديث والفقه التطبيقي وجاء هذا الكتاب في حذفه الاستنباط الفقهي وتعزيز العلامة بين الحديث والفقه

ثالثا: تهذيب الاحكام للشيخ الطوسي توفيه 460ه وهو شرح الكتاب « المقنعة» للشيخ المفيد سبب التأليف والمنهجية بدا الشيخ الطوسي تأليفه گ شرح الكتاب المقنعة الأستاذة الشيخ المفيد وكان الهدف الاساسي هو رفع التعارض الظاهري بين الاحاديث ولا يقتصر الكتاب ع الاحاديث فقط بل يشتمل على استدلالات فقهيه ومناقشه لأسانيد وتفيد الآراء المخالفه ويتكون الكتاب من 10مجلدات وعدد الاحاديث 13590 حديثا موزعه على 393بابا فقهيا

رابعا: كتاب الاستبصار

يعد كتاب الاستبصار من الكتب الأربعة للشيخ محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي يعد كتب الأربعة يختص الكتاب بجمع الاحاديث التي يبدو بينهما تعارض في الاحكام الشرعية حيث يقوم المؤلف بأجمع أو ترجيح بعضهما عن الاخر وفق القواعد الفقهية دقيقه بضم الكتاب نحو 5511 حديثا.

أشكالية ليس كل ما موجود في الكتب الأربعة صحيحاً:

أيد هذا الرأي الاخباريون ونافش ذلك الشيخ محمد باقر الايرواني في كتابة دروس تمهيديه في القواعد الرجالية قائلا :

إن اهتمام الصحابة بالأخبار لا يُثبت صحتها كلها، بل يكفي معرفة صحة الكثير منها، إذ لا يُعقل أن يذهب هذا الجهد سدىً دون نتيجة.

أما الثلاثة محمد أنفسهم، فلا أُجزم بصحة جميع الأحاديث التي زعموها في كتبهم، فكيف يُمكن إثبات صحة غيرهم؟ والدليل على يقينهم هو شرحهم لبعض الروايات في الكتب الأربعة. يقول الشيخ الطوسي، في الجزء الثاني من كتاب الاستبصار، الحديث 231/230، إن راوي الحديثين المذكورين هو عمران الزعفراني، وهو مجهول، بالإضافة إلى وجود ضعفاء في أسانيدهم. قال الشيخ الصدوق في باب الولي الذي يمنع الوارث: "لم أجد هذين الحديثين إلا في كتاب محمد بن يعقوب، ولم أروهما إلا على طريقته".

حتى لو سلمنا بصحة جميع الاصول التي نُقلت منها روايات الكتب الأربعة قطعية الصدور، أو أنها نُقلت عبر سلاسل روائية متعددة ومتصلة، فإن هذا لا يُلغي الحاجة إلى سلسلة نقل موثوقة. فصحة المصدر الأصلي للكتاب ونسبته المستمرة إلى مؤلفه لا تستلزم بالضرورة صحة جميع نسخ كتاب الكافي، على سبيل المثال. فمع أن الكافي يُنسب قطعياً إلى

الكليني، إلا أن هذا لا يعني أن كل نسخة منه صحيحة قطعياً وخالية من أي اختلافات مع النص الأصلي الذي كتبه الكليني. بل قد تحتوي بعض النسخ على إضافات أو حذف أو تحريفات[30].

اما أهم النقاط الهامة التي نخلص اليها :

ان مدرسة الامامية قد رافقها المعصوم طيلة اكثر من ثلاثمائة عام، فكان الرعاية العلمية على ادق صورها ، والمتابعة الفكرية باجلى مظاهرها والاشراف على الكتابة التدوينية بأفضل اثارها وصولن الى الكتب الأربعة المشهورة.

عرفنا ان حركة التدوين بدأت عند الامامية اسبق من الجمهور بالرغم من الظروف السياسية التي كانت تحيط بالمعصومين واصحابهم مع.

هذا فقد كتب كل من ابان بن تغلب وابان بن عثمان ، وهشام بن الحكم وهشام بن سالم، ومحمد بن مسلم وحريز بن عبد الله السجستاني ، وابي حمزة الثمالي وعاصم بن حميد وعلاء بن رزين وعلي بن رئاب وغيرهم كتبا.

وقد ساهم هذا الازدهار الحديثي عند الامامية في اواخر القرن الأول الهجري وبداية القرن الثاني ابان فترة الامامين الباقرع (عليه السلام) (٥٧-١١٤هـ) والامام الصادق (عليه السلام) (٨٣-١٤٨هـ) فقد الفت معظم الكتب الشيعية وقد ذكر الشيخ النجاشي (ت ٤٥٠ هـ) اكثر من ١٢٠ كتابا في الحديث .

المصادر والمراجع:

* القران الكريم

1- محمد باقر الايرواني، دروس تمهديه في القواعد الرجالية مطبعة القلم قم المقدسة، الطبعة الثانية 2007.

2 – الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت 329هـ)، دار الكتب الإسلامية، طهران- 1388.

3 – مختلف تاويل الحديث: أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة (276) دار الجبل، بيروت- 1393هـ.

4 – الاجتهاد والتقليد والاحتياط، سماحة آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني.

5 – بمقدمة ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن، أبوعمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (ت ٦٤٣هـ)، تحقيق: نور الدين عتر، الناشر: دار الفكر- سوريا، دار الفكر المعاصر – بيروت1406هـ.

6 – رسالة في علوم الحديث واصوله: كمال الدين الطائي، مطبعة سلمان الاعظمي – بغداد، 1391هـ.

7- العلامة الشيخ آقا بزرگ الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، النشر دار الأضواء بيروت.

8-صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل (ت256) مكتبة عبد ابن قتيبة الحميد أحمد خنفي مصر -1314هـ.

9- الأصول الاربعمائة، محمد حسين الحسيني الجلالي، دار النشر الاعلمي طهران.

10 – الدكتور علي خضير حجي، مناهج المحدثين عرض مقارن، مطبعة الأمير/ أيران، الطبعة الأولى 2017.

[30] – ينظر: دروس تمهديه في القواعد الرجالية، محمد باقر الايرواني: 226.

11 – الدكتور حسن الحكيم، مذاهب الإسلاميين في علوم الحديث.

12 – بصائر الدرجات، أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ (الصفار) توفي سنة (290هـ) تقديم وتصحيح الميرزا محسن، منشور الاعلمي طهران.

13 – العلامة المحقق جعفر السبحاني، الحديث النبوي بين الرواية والدراية، المطبعة اعتماد/ قم المقدسة، الطبعة الأولى 1419هـ.

14 – مناهج المحدثين، د. عزت عطية: ٨٢٧ (موسوعة علوم الحديث)

15 – تذكرة الحفاظ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي(ت748هـ) مطبوع أحياء التراث العربي، بيروت.

16 – السنن: الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن (181–255هـ)، دار إحياء السنة النبوية.

17 – رجال النجاشي، أحمد بن علي (372–450هـ)، بيروت 1409هـ.